مقدمة

إنه لمن دواعي سروري ومن المشرف لي أن أكتب تمهيدًا لهذا الكتاب، الذي نُشر في سسلسلة «L'Académie en Poche»، وكذلك، ولأول مرة، في نسخة إلكترونية مجانية الوصول.

إن برنار رينتييه، بالإضافة إلى مميزاته الأكاديمية ومسؤولياته في رئاسة جامعة ليبج في بلجيكا، هو ناشط ملتزم لا يكل ولا يمل ويشاركنا كفاحه من أجل العلم المفتوح (Open Science). وفي هذا الصدد، فهو يتماشى تمامًا مع النهج الذي تدعو إليه المفوضية الأوروبية، والذي جعله كارلوس موياداس، المفوض الأوروبي الحالي للبحوث، بمثابة هوايته المفضلة.

يحمل تقرير عام 2016 حول العلوم والبحث والابتكار في الاتحاد الأوروبي عنوانًا فرعيًا هو: المساهمة في الابتكار المفتوح والعلم المفتوح والانفتاح على الأجندة العالمية (Contribution to Open Innovation, Open Science and Open to the World Agenda)، مما يشير إلى رغبة الاتحاد الأوروبي في تطوير العلوم عالية الجودة ووضع نفسه رائدًا عالميًّا في مجال العلم المفتوح (Open Science). وكما لخص كارلوس موياداس الأمر: «المشاركة بشكل أسرع والابتكار بشكل أسرع».

ومع ذلك، فإن الابتكار المفتوح ليس سوى جانب واحد من جوانب التأثير العميق لهذا التغيير الكبير على العلم وعلى البحث العلمي وعلى الباحثين وعلى العلاقة بين العلم والمجتمع.

ويصف لنا المؤلف بوضوح تطور التواصل العلمي منذ عام 1665 والعدد الأول من مجلة (Philosophical Transactions) للجمعية الملكية في لندن، التي كانت تمثل -مع فرانسيس بيكون- مهد العلم الحديث، إلى يومنا هذا، حيث أصبح هذا التواصل العلمي تجارة مربحة ومزدهرة للناشرين، الذين شكلوا اتحادات ضخمة أصبحت أرباحها غير معقولة ويشكل «معامل التأثير» الخاص بها تحيزًا له عواقب وخيمة على الباحثين وعلى ضمان جودة البحوث.

كما يشرح لنا المؤلف كيف نشأت الحركة الدولية للوصول المفتوح في العقد الأول من القرن الحادي والعشرين، وكيف أصبحت اليوم ضرورية. بدأ برنار رينتييه هذا الكفاح من أجل «انفتاح العلوم» قبل أن يصبح رئيسًا لجامعة لييج البلجيكية، لأن العلم بالنسبة له كان منفعة عامة، وهي وجهة نظر أشاركه فيها: «يوفر الإنترنت اليوم وسيلة اتصال سريعة وعالمية. يمكن أن يمنح الباحث السيطرة الكاملة على منشوراته، شريطة أن يرغب الباحث في ذلك أو أن يكون مخولًا بذلك».

وبصفته رئيسًا لجامعة لييج، وعلى المستوى الدولي، ومؤسسًا مشاركًا ورئيسًا لـEOS (تمكين المنح الدراسية المفتوحة Enabling Open Scholarship)، كان من أوائل من أطلقوا الوصول المفتوح (Open Access) كما حددته المفوضية الأوروبية في عام 2010: وهو نموذج يتيح الوصول والاستخدام وإعادة الاستخدام مجانًا للقراء على الإنترنت. وقد جعل من

هذا الأمر قضية حقيقية من خلال إلزام باحثي جامعة ليبج بإيداع مقالاتهم العلمية في الأرشيف الإلكتروني المؤسسي (ORBi) وربط هذا الإيداع بإجراءات التقييم. وقد تم الاستشهاد بجامعة ليبج من قبل (DG Research) في الاتحاد الأوربي كمثال على إرادتها السياسية لتطوير العلم المفتوح.

هناك حاجة ملحة للحكومات والمؤسسات الدولية لدعم انفتاح العلوم هذا. هذا هو الحال اليوم مع برنامج هوريزون 2020 (H2020) التابع للمفوضية الأوروبية (أشعر بقلق عميق إزاء المشكلة التي أثيرت في Open Science Monitor)، وكذلك في سويسرا واتحاد والونيا-بروكسل (مرسوم 2018 الذي أسهم فيه برنار رينتير).

يقدم الكتاب وصفًا جيدًا للأنواع المختلفة من الوصول المفتوح، بالإضافة إلى العقبات والتحفظات (صناع العربات!)[1] والرهانات الاقتصادية التي ينطوي عليها التطور الحالي. ويقودنا هذا إلى قضايا موضوعية أخرى: النزاهة العلمية وتقييم الباحثين ومبدأ علم المواطن (**Citizen science**)[2].

---

(1) يشير كاتب المقدمة هنا إلى مقالة لمؤلف الكتاب عن المتحفظين على التطور في طرق النشر، وشبههم بصناع العربات التي كانت تجرها الأحصنة، فقد اختفت هذه المهنة وأصبحت من الماضي. (المترجم)

(2) علم المواطنين أو علم الجميع وعلم التعهيد الجماعيّ والعلم المدني والعلم الشبكيّ وهو البحث العلمي -بصورة كاملة أو جزئية- من قبل العلماء الهواة أو غير المختصين، ويمول عادةً بوساطة التعهيد الجماعيّ والتمويل الجماعيّ. ويُعرّف علمياً بالجمع والتحليل النظامي للمعلومات، وتطوير التقانة، واختبار الظواهر الطبيعية، وتُنشَر هذه المعلومات بوساطة الباحثين بسبب دافع هِوائيّ (من كلمة هواية) محض. ويطلق على علم الجميع في بعض الأحيان بالمشاركة الشعبية في البحث العلمي. (ويكيبيديا) (المترجم)

تهدف منطقة البحث الأوروبية أيضًا إلى تطوير العلاقة بين العلم والمجتمع وكيف لا يسعنا إلا أن نتفق مع الاستنتاج الجيد الذي خلص إليه برنار رينتييه: «علينا إذن أن نجد القوة لمقاومة طغيان المال، وصافرات الإنذار أو ضغوط أتباعه. علينا أن نكتسب الحكمة وننقلها لنشق طريق العلم الجديد، متجنبين كل المزالق على طول الطريق. عندها يمكننا أن نختبر جمال العالم العلمي المبني على التعاون والمشاركة والتبادل».

فيليب بوسكين،

عضو مشارك في الأكاديمية الملكية البلجيكية.

15 يوليو 2018